M.39
Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
İslâm Ansiklopedisi

Tarandı
A. Yücel

الإشارات الإلهية

في علم مقارنة الأديان

تأليف الشيخ الإمام
نجم الدين البغدادي الطوفي
الحنبلي السلفي المتوفى سنة ٧١٦ هجرية

دراسة وتحقيق
الدكتور أحمد حجازي السقا

نجم الدين البغدادى الطوفى

٦٥٧ - ٧١٦ هـ = ١٢٥٩ - ١٣١٦ م

سليمان بن عبد القوى بن عبد الكريم الطوفى الصرصرى ، أبو الربيع ، نجم الدين : فقيه حنبلى ، من العلماء . ولد بقرية طوف - أو طوفا - (من أعمال صرصر ، فى العراق) ودخل بغداد سنة ٦٩١ هـ . ورحل إلى دمشق سنة ٧٠٤ هـ وزار مصر ، وجاور بالحرمين ، وتوفى فى بلد الخليل (بفلسطين) له : « بغية السائل فى أمهات المسائل » فى أصول الدين و « الإكسير فى قواعد التفسير » و « الرياض النواضر فى الأشباه والنظائر » و « معراج الوصول » فى أصول الفقه و « الذريعة إلى معرفة أسرار الشريعة » و « تحفة أهل الأدب فى معرفة لسان العرب » و « الإشارات الإلهيـــة والمباحث الأصولية » و « العذاب الواصب على أدواح النواصب » حُبس من أجله ، وطيف به فى القاهرة ، و « تعاليق على الإنجيل » و « شرح المقامات الحريرية » و « مختصر الجامع الصحيح للترمذى — خ » فى مجلدين (١) .

* * *

وجاء فى فهرس معهد المخطوطات العربية عن الكتاب ما نصه :

(الانتصارات الاسلامية فى كشف شبه النصرانية) تأليف نجم الدين البغدادى الطوفى .

نسخة كتبت سنة ٧١١ هـ نقلا عن نسخة المؤلف (أحمد الثالث ١٨٦٢ / ١٢٢ / ٢٦×١٧ سم) .

---

(١) الكتبخانة ١ : ٤١١ وجلاء العينين ٢٣ والمنهج الأحمد - خ وشذرات الذهب ٦ : ٣٩ والدرر الكامنة ٢ : ١٥٤ والأنس الجليل ٣ : ٥١٣ وهو فيه « سليمان بن عبد الله الطوفى » .

تقديم

هذا كتاب جيد فى علم مقارنة الأديان ، ألفه عالم من علماء السلف لنقد كتاب ألفه نصرانى للطعن فى دين الإسلام . وبجمل ما فى الكتاب ما يلى :

بين فى المقدمة الأولى : أن كتب التوراة والإنجيل ، وكذا الأحاديث النبوية الضعيفة ، لا يستدل بشىء منها على نقص فى دين الإسلام .

وبين فى المقدمة الثانية : أن العقل أحياناً لا يستطيع معرفة الحكمة من بعض النصوص الشرعية . وفى هذه الحالة يجب التسليم بالنصوص وإن كانت الحكمة فيها خافية . وغرضه من هذه المقدمة : أنه لا يجب الطعن فى دين الإسلام بنصوص شرعية من السنة ، عقولنا قاصرة عن فهم المراد منها .

وبين فى المقدمة الثالثة : أن الشريعة الإسلامية تستند على القرآن الكريم والسنة الصحيحة . والشريعة لها أصول ولها فروع . ولا تثبت أصول الشريعة إلا بالمتواتر . أما خبر الواحد والقياس الظنى والاستحسان والاستصحاب وقول الصحابى ونحوه ، فلا تثبت به الأصول ، لأن تلك أخبار توجب العمل دون العلم لكونها مظنونة الثبوت ، وإن كانت فى البخارى ومسلم ، لاحتمال وقوع علة قادحة فى طريقها .

ولم يلتزم المؤلف بهذه المقدمة حيث نقل عن النصرانى أحاديث ضعيفة يطعن بها فى نبوة محمد ﷺ وأجهد نفسه فى توجيهاتها ، وكان يلزمه بحق المقدمة الثالثة أن يعترف بضعفها ويسكت .

وبعدما فرغ المؤلف من ذكر المقدمات الثلاث شرع يذكر عبارات

للنصرانى ويعلق عليها ، وعبارات النصرانى أكثرها الطعن فى الإسلام ، وعبارات المؤلف هى للدفاع عن الإسلام .

ولما فرغ من نقد كتاب النصرانى ، كتب خاتمة للكتاب تتضمن عشر حجج واضحات على صحة دين الإسلام ، وصدق محمد — عليه السلام —

الحجة الأولى : أن المعجزة تدل على صدق النبى ، ومحمد ﷺ أتى بالقرآن الكريم معجزة .

الحجة الثانية : أن محمداً ﷺ لو لم يكن نبياً صادقاً لما بقيت دعوته إلى هذا اليوم .

الحجة الثالثة : اقتضت إرادة الله إرسال أنبياء إلى العالم للإصلاح ، واقتضت أن يكون محمداً ﷺ من الأنبياء . وقد أيده الله كما أيد الأنبياء بالمعجزات .

الحجة الرابعة : لو كان محمد ﷺ ملكا لأهلك اليهود والنصارى لمخالفتهم لدينه ، لكنه لم يأمر بهلاكهم إذا بقوا على دينهم مع دفع الجزية للمسلمين . فدل ذلك على أنه ينفذ فيهم أحكام الله .

الحجة الخامسة : لو لم يكن محمد ﷺ نبياً ، لأغرى الناس بتكذيب كل ما فى كتب اليهود والنصارى ، لكنه أنصفهم باعترافه بأن فى كتبهم حق وباطل . وهذا يدل على أنه ما ينطق عن الهوى ، لأنا علمنا بالاستقراء من ملوك الدنيا أجمعين : أن أحداً منهم لم يترك من آثار من قبله من الملوك والأنبياء ما يحذر منه على ملكه إلا عجزاً .

الحجة السادسة : يدعى النصارى : أن المسيح هو الله ، أو ابن الله ، وقد ظهر فى العالم ليفدى الناس من الإثم ، ثم صعد وجلس عن يمين الله فإن كان هذا حقاً — وما هو بحق — فقد كان يجب على الله — وما يجب عليه شىء — أن يقول لابنه حين ظهر محمد بدعوته : أهلك هذا ولا تدعه يفتن الناس ويضلهم .

الحجة السابعة : جرت عادة الله بأن يرسل الرسل للناس إذا احتاج الناس إليهم ، والعرب اشتدت حاجتهم لرسول ، فبعث الله إليهم محمداً عليه السلام . ليقمع الشرك ويمحو الضلال ، ولما قمع الشرك ومحا الضلال ثبت أنه رسول صادق . ومن صدقه أنه أخبر عن أمر الله أنه رسول إلى الناس أجمعين ، فيجب تصديقه .

الحجة الثامنة : إن محمداً عليه السلام كان عالى الهمة ، ومن كان عالى الهمة لا يكذب لئلا تسقط مروءته .

الحجة التاسعة : لو أن محمداً — عليه السلام — كاذب فى دعوى النبوة — وما هو بكاذب — لترك الناس دينه بعد موته ، ولفطن العرب إلى كذبه . وانفضوا من حوله .

الحجة العاشرة : من محاسن محمد ﷺ أنه لم يغض من قيمة الأنبياء الذين كانوا من قبله ، ومحاربة أتباع موسى وعيسى له لم تحمله على الانتقاص من قدر موسى وعيسى . وهذا بالتأكيد يدل على نبوته .

* * *

وطعن اليهود والنصارى فى دين الإسلام على أنواع . منها الذم الصريح . وهـذا النوع لا يلتفت إليه المسلمون ، لأنهم ذموا أنبياءهم من قبل وقتلوا كثيرين منهم . ومن أنواع الطعن نوع ملتوى ، خلطوا فيه الحق بالباطل ، وذلك بأن يتظاهر واحد منهم بالإسلام ، ثم يؤلف كتاباً يتحدث فيه عن محاسن الإسلام ، وفى ثنايا الكلام يضع الشبهات والغمزات . وهذا النوع هو الذى أضر بالمسلمين إلى اليوم ، لأنه إذا قام مسلم مخلص للإسلام انتقد الكتاب وبيان زيفه عارضاً الشبهات وموضحاً مرمى الغمزات ، يتصدى له عالم من المسلمين قائلا: بأن الكتاب مفيد وصالح للتعليم . ومستنده هو الكلام الحسن

لا الشبهات ولا الغمزات ، والأمثلة على ذلك كتب التصوف (١) ، وبعض الأحاديث النبوية التى وردت عن طريق الآحاد ، والمتواتر أيضاً .

وبعدما يتلقى المسلمون كتبهم بالقبول ، يقوم يهودى أو نصرانى للطعن فى الدين بتلكم الشبهات والغمزات . ويكون رد الفعل من المسلمين أن يقوم بعض العلماء فيسلم بأن الشبهات حق والغمزات صدق ، ثم يجهد نفسه فى التأويل والدفاع . ومع اجتهاده تظل الشبهة قائمة لم ترتفع .

والأمثلة على ذلك : هذا النصرانى الذى طعن فى القرآن الكريم بتفسيرات لبعض آياته فسرها أصحاب الأهواء من اليهود والنصارى الذين تظاهروا بالإسلام ، مثل تفسيرهم قول الله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ، ألقى الشيطان فى أمنيته ، فينسخ الله ما يلقى الشيطان ، ثم يحكم الله آياته ، والله عليم حكيم) إن معناها : كل رسول وكل نبى يتمنى هداية قومه ، لكن الشيطان يوسوس للرسول أو للنبى بترك الدعوة خوفاً من أذى قومه ، فالله تعالى يمنع وسوسة الشيطان من القلب ، ويقوى قلب الرسول أو النبى فيبلغ الرسالة ، وإذا بلغها فإن آيات الله تكون أحكمت ، لأن إرادته قد نفذت . هذا هو معنى الآية « والله عليم حكيم » .

وأصحاب الأهواء يفسرونها بأن الشيطان نفسه نطق على لسان محمد ﷺ بمدح الأصنام والثناء عليها . ثم يأتى مثل هذا النصرانى بعد زمان وقد رسخت هذه المعانى السقيمة فى أذهان الناس وتلقوها بالقبول . فيطعن فى الدين بها .

ماذا على المسلمين من التصريح بتكذيب تفسير أصحاب الأهواء ؟ حتى لا يتخذ الأعداء من كلامهم ، وتصديق المسلمين له ، سلاحاً للقضاء على الدين .

وأيضاً يجب على علماء المسلمين أن يصرحوا بقيمة الأحاديث النبوية ومنزلتها فى العقائد والتشريع ، ولا يخشوا مواجهة العامة . فذلك أحسن من

---

(١) مما يؤسف له أن عبد الحليم محمود ، أحيا الميت من هذه الكتب المزورة .

التسليم بضعفها ، والتحدث كذبا بصدقها . إننا إن لم نصرح نعطى الأعداء سلاحاً للقضاء على الدين .

يا علماء المسلمين أنتم تعرفون أن الأحاديث النبوية فرقت المسلمين إلى سنيين وشيعة ، وما بعضهم بمؤمن بأحاديث بعض . فصحيح البخارى عند أهل السنة كتاب كاذب فى نظر الشيعة ، والكافى عند الشيعة كتاب كاذب فى نظر أهل السنة . فهلا اديتم بالقرآن الكريم ، والأحاديث النبوية المفسرة والموضحة لمعانى القرآن الكريم . منعاً للخلاف وحسما للنزاع ، وتوحيداً لكلمة المسلمين فى مواجهة الإلحاد وكفر أهل الكتاب ؟

* * *

ولكى يعلم من لا يعلم فى هذا الشأن . أنقل نص ما كتبه الامام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ـ رحمه الله تعالى ـ فى كتابه « الاسلام عقيدة وشريعة » عن قيمة السنة فى نظر العلماء : يقول ـ رحمه الله ـ مانصه :

القرآن ... وثبوت العقيدة

وتطبيقاً للمبادىء التى ذكرناها ، يتبين لنا : أن الطريق الوحيد لثبوت العقائد هو القرآن الكريم ، وذلك فيما كان من آياته قطعى الدلالة (لا يتحمل معنيين فأكثر) كالآيات التى ذكرناها من قبل فى إثبات الوحدانية والرسالة واليوم الآخر .

وأما ما كان غير قطعى من دلالته ، محتملا لمعنيين فأكثر ، فهذا لا يصلح أن يتخذ دليلا على عقيدة يحكم على منكرها بأنه كافر ، وذلك كالآيات التى استدل بها بعض العلماء على رؤية الله بالأبصار فى الدار الآخرة : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ، « إن الأبرار لفى نعيم على الأرائك ينظرون » . « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » . ولم يسلم لهم آخرون من العلماء فهمهم فيها ، بل

نفوا الرؤية المذكورة بآية أخرى : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » .

وإذن فثبوت العقيدة بالقرآن أو عدمه مبنى على قطعية الدلالة أو ظنيتها . أما قطعية الورود فهذا لا شك فيه ، إذ القرآن كله قد وصل إلينا ، كما أنزله الله متواتراً جيلا عن جيل .

السنة .. وثبوت العقيدة

منشأ ظنية السنة :

وإذا كانت العقيدة لا تثبت إلا بنص قطعى فى وروده ودلالته ، كان لا بد من تبيين المبادىء التى تقوم عليها قطعية السنة أو ظنيتها .

وأول ما يجب التنبه له فى هذا المقام أن (الظنية) تلحق السنة من جهتى الورود والدلالة . فقد يكون فى اتصال الحديث برسول الله ﷺ شبهة فيكون ظنى الورود ، وقد يلابس دلالته احتمال فيكون ظنى الدلالة ، وقد يجتمع فيه الأمران : الشبهة فى اتصاله ، والاحتمال فى دلالته ، فيكون ظنياً فى وروده ودلالته . ومتى لحقت (الظنية) الحديث على أى نحو من هذه الثلاثة فلا يمكن أن تثبت به عقيدة يكفر منكرها ، وإنما يثبت الحديث والعقيدة وينهض حجة عليها إذا كان قطعياً فى وروده وفى دلالته .

التواتر والآحاد :

ولكى يتضح مناط (القطعية والظنية) فى ورود الحديث ينبغى أن نبين ما قرره العلماء فى (التواتر والآحاد) ليكون منارا يهتدى به من يريد الوصول إلى الحق .